الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

المعجم الشعري
في ديوان (القارب الذي نسي البحر)
لعبد الله الكعبي

دكتور / جمال فودة
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية
عضو المجمع الدولي للأدباء والمثقفين العرب

التجربة الشعرية انفعال وتعبير، والانفعال الشعوري والتعبير اللغوي تربطهما علاقة قوية من حيث التأثير المتبادل بينهما ، فالانفعال يعكس الحالة الوجدانية / النفسية التي يعانيها المبدع ، واللغة تجسد ملامح هذا الانفعال من خلال استغلال الشاعر لإمكانيات الألفاظ الإيحائية التي تبرز تجربته المنبثقة من تفاعل الفكرة والحدث مع العاطفة والشعور، فتأتى لغته متميزة تميز تجربته

وخاصة خصوصية ذاته ، حيث تتحول " لغة التعبير الشعري من وصف العالم المادي الخارجي إلى وصف عالم الشاعر الداخلي ، وإلى التعبير عن شجنه النفسي باستخدام لغة تعبيرية مكثفة لتلك المشاعر ، وقد أدى ذلك إلى العزوف عن المعجم الشعري التقليدي الذى لم يعد باستطاعته الاستجابة لتحدي التشابكات الحياتية المعاصرة ". (1)

والمعجم الشعري أحد عناصر الشعر الأساسية التي تتأثر بالتطور المستمر في حياة الأدب والأدباء " فمنذ أن بدأ الشعراء يتجهون إلى التجربة الذاتية، ويهتمون بتصوير المشاعر والانفعالات ويلتفتون إلى مشاهد الطبيعة ، ويربطون بينها وبين وجدانهم ، أخذت طائفة كبيرة من الألفاظ المحملة بالدلالات الشعورية والجمالية تتردد في عباراتهم وصورهم ممتزجة أحياناً بألفاظ تقليدية ، وخالصة - أحياناً - لطبيعة التجربة الوجدانية الجديدة " . (2)

وكغيره من الشعراء يمتلك " عبد الله الكعبي" معجماً خاصاً به وحده، وتأتي هذه الخصوصية من خلال نوعية الألفاظ التي يختارها الشاعر، والمضمون الذى تدور حوله تلك الألفاظ؛ لأن ذلك يعكس نفسيته ويجسد طبيعة تجربته .
" إن هناك كلمات معدودة تتكرر في معجم كل شاعر، ويمكن أن تكون دليلاً على منحاه النفسي و الفكري ، وتدل - إذا أحسنا النظر فيها - على عالمه الشعري و النفسي و الفكري " . (3)
لكنا لا نعني بمعجم الشاعر ذلك البناء اللفظي للمفردات المتواترة في النص من خلال المعنى اللغوي المجرد ، و إنما نعنى به الاستخدام الشعري أو الفني لمفردات اللغة ، وتنصب دراستنا لمعجم الشاعر - وفقاً للمعنى السابق - على تأمل الدلالات الشعرية التي تتحمل بها المفردات داخل النص الشعري ، وخاصة تلك المفردات المتواترة في النص " أي تلك المفردات التي تحظى بنسبة تردد عالٍ، و التي تسمى" الكلمات / التيمات" أو الألفاظ الموضوعات " . (4)

وهذه المفردات المختارة من الكثرة و الوضوح بمكان، حيث تشكل ملمحاً أسلوبياً في شعر" عبد الله الكعبي"، و تشغل حيزاً كبيراً من معجمه، فلا تكاد تخلو صفحة واحدة من أعماله الشعرية من إحدى هذه المفردات، وقد توزعت هذه المفردات على عدة محاور تمثل بنية الألفاظ، وهي:

1- مفردات الزمان . 2- مفردات المكان . 3- مفردات الطبيعة
4- مفردات اللون 5- أسماء الأعلام .

" فلكل لفظة تاريخ خلف الوعى ، كما أن لها معناها الموضوعي والمنصوص عليه في المعاجم ، وكذلك فهي رمز لعالم الشاعر أو دلالة لأحاسيسه، وللفظة - أيضاً - روحها وملابساتها الخاصة أعنى شاعريتها أو مجازيتها " . (5)
- مفردات الزمان : - يرتبط الزمن في العمل الشعري بدلالة النص حيث يبلور الشاعر من خلاله لحظة خاصة تضرب بجذورها في أعماقه، ومن ثم يكتسب الزمن مغزاه من خلال" ارتباطه بالخبرة الإنسانية، أي بصفته معنى داخلياً و صيغة للتأمل " . (6)
رغم ضراوة الواقع يعيش الشاعر زمنه مواجهاً تحدياته، مرتبطاً بقضايا أمته، لهذا اتسمت مشاعره تجاه زمنه بالحزن النابع من معاناة الفرد و المجتمع ، إن الزمن يمثل حضوراً قوياً في لغة الشاعر و تجربته ، لكنه حضور - غالباً – يدينه الشاعر، فلا سبيل له أن يتصالح مع هذا الزمن " المر " (7) " اليتيم (8) ". إذن كيف يعيش الإنسان في زمن بهذه الصفات؟! زمن فيه أسئلة بلا إجابة، وما الفرح في هذا الزمان سوى أغنية !!
ما الذي تبثه تنهيدة الروح حينما تحبس الإجابة ؟
الزمن وحده اليتيم

يتعثر حصانه كلما رسم الفرح أغنية.. (9)

والزمن بهذه الملامح القاتمة يعد محوراً أساسياً لدى الشعراء المعاصرين بصفة عامة ، و أبرز ما يُلاحظ على هذه النزعة هو أن الشعراء قد صاروا يلحون على إبراز جانب واحد من الحياة هو جانب القتامة . يقول الكعبي :

من شغف العيش والحارات الموحشة
من بلادة الوقت وهشاشة الزمن المر
من غبار الورقة المحشوة بالكلام
من زعتر الجبل وابتهال الشاي
جاء...
يمتطي الحزن تارة ويتأبط بكل مكان ابتسامته
يقدم كفه وقلبه للغرباء (10)

في سياق رصد الكعبي لملامح هذا الزمن (المرّ) يلجأ إلى أحد أنماط التكرار، وهو(الترديد) حيث يستخدم الشاعر لفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها ويعلقها بمعنى آخر في بقية السطور الشعرية .
ولا شك أن تكرار حرف الجر (من) بهذه الصورة يحفر بعمق في ذات الشاعر ليكشف عن مدى المعاناة التي تكسو التجربة، فالحرف " من " بمثابة محور ارتكاز ينطلق منه الشاعر إلى تصوير بعد معين من أبعاد رؤيته الشعرية، فإذا ما انتهى من هذا البعد انطلق إلى بعد آخر من خلال التكرار.
لكن الحروف المجردة لا تعبر عن شيء، وليس لها قيمة موسيقية / دلالية بمفردها، ويعد التكرار بالترديد من الأساليب، التي تتميز بقدرتها على ترتيب الدلالة والنمو بها تدريجياً في نسق أسلوبي يعتمد على التكرار اللفظي، كما أن هذا الأسلوب يجعل المتلقي مشاركاً مشاركة فعلية في استكشاف جماليات التعبير الفني، إذ يدفعه إلى قراءة النص مرة أخرى ليقف على أثر التوزيع والاختيار اللذين يعدان من أبرز سمات العمل الإبداعي.

وفي هذه القراءة العجلى لشعر عبد الله الكعبي لاحظنا نوعاً من الإلحاح على تحولات الزمن ودلالاته في القصائد التي تدور حول القيم الأساسية في الحياة بفعل الحركة المنتظمة المستمرة لليل و النهار، وارتباط ذلك بعمر الإنسان؛ بسعادته و شقائه، وارتباط ذلك أيضاً بنهاية الحياة.

2- مفردات المكان : -
المكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة، لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها، و إنما يحكمه الخيال الذى يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع .
معنى هذا أن المكان في بنية النص الشعري يجسد بناء فنياً موازياً / مناقضاً لحركة الواقع الذى يعايشه الشاعر من خلال تفاعل الداخل مع الخارج في لحظة كشف تنبئ عن طبيعة العلاقة بينهما مجسدة دلالياً / نفسياً في ثنايا التجربة الشعرية .

و تمثل " القرية و المدينة" أبرز مفردات المكان في الشعر العربي الحديث بصفة عامة ، و لكنهما لم يظهرا في شعر" عبد الله الكعبي" بشكل واضح ، فثمة إشارات خاطفة في بعض قصائده ، والكعبي شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء " الذين نزحوا من الريف إلى المدينة ، فظلت

القرية حية في ضمائرهم ، وهم يمارسون الحياة كما تفرضها ظروف المدينة ، أو الشعراء الذين نشأوا في المدينة وكانت لهم مع ذلك علاقة بالقرية ، هؤلاء يشتركون في موقف واحد هو أن القرية و المدينة تعيشان في نفوسهم جنباً إلى جنب ، وسرعان ما تبرز صور التناقض في نفوسهم ، نتيجة لما هو ماثل بين حياة القرية و حياة المدينة من تناقض " . (11)

يقول الكعبي عن قرية (وكان):
تبدأ بالصعود ولكن ليس إلى الله
ولا حتى لسدرة المنتهى
الحجارة تتقلص وقد تتعاظم...
لا عليك
أنا مثلك أراقب صف المدرجات ، وكيف تتوارى الشمس في (وكان) منا
نحن أبناء الريف تتغازل مع قمم الجبال الشاهقة
ليست الشمس تتوارى عنّا...
بل كل شيء يتوارى حتى حسد الناس والخوف...
في (وكان) تتعجب كأنك تمشي على رأسك
فالماء يبرد كلما صعدت
والحب ينمو كلما رجعت
رائحة المشمش والزيتون تملأ الذاكرة...
ها هي المسافة والماء كلما صعدنا ينبع من الحجارة
هل انفجرت بعصا موسى
أم خشيتها من الله ألانت الدرب؟
أما الإنسان
هو أنا وأنت حينما نزعنا من جيوبنا الطين ونثرنا الحجارة
وسميناها على حسب لونها وحجمها
أعجب أننا تخلصنا من الإسمنت والتصقنا بالأخضر والحجر...
ومهما حاولنا الابتعاد عن الأرض نرجع لحضنها (12)

يعود الشاعر إلى القرية يبثها حنينه وأشواقه "ومهما يكن من أمر فإن هذا الأسى وهذه النقمة ليسا سوى رواسب للموقف الرومانتيكي القديم، وإن لم يترك الشاعر المدينة نفسها ليتحدث عن أحلام القرية كما كان الشأن عند الرومانسيين ". (13)
لذلك لم يجد الشاعر حلاً لأزمته مع المدينة في الهروب إلى عالم القرية و الحنين إليه، إذ يظل وجودها في الخلفية التي تحتفظ بها الذاكرة كنوع من الحرص على الذكريات القديمة.
فالناس في القرية إخوة متحابين، لا يحسد أحد أحداً، ولا يعرف قلب حقداً، يعيش الإنسان بسيطاً في كوخ يضفي عليه دفء المحبة، ويستشعر فيه الرضا والراحة.

كما أن القرية تستقر في منطقة اللا شعور بوصفها مهد الحقيقة المغيبة و المُثل المغتربة، وحين يتم استدعاء هذا المعنى بوصفه حلماً ضائعاً في أعماق الشاعر ، فإنه يحضر بأبعاده الفيزيقية والمادية ، أي إنه يتجسد بعناصره المكانية الحسية وأبعاده النفسية ، عبر اختراق خيالي لأستار الماضي البعيد يستقطب إلى الحاضر هذا المشهد الإنساني الرائع :

في (وكان) لم تسقط دمعتي على وضعنا المأساوي

ولا على حالنا الإنساني
ولكني فتشت عن حجر النرد لكي ألعب بالحظ
وأعود بالشمس والتوت
علّي أضع لنفسي
تاجاً ولو ثانية (14)

لقد تغيرت حياة القرية شكلاً ومضموناً عما كانت عليه قديماً ، إذ كانت مفعمة بروعة الوجود بين الروابي و المراعي و الطيور المغردة تهيم في غلائل الضحى ، فتجتلي العيون مباهج الأضواء و الظلال في سحر المروج المتوجة بعبير الذكريات و الممتدة في آفاق المدى ؛ لذا فإنه يعود إليها بعد أن اغترب عنها يبثها حنينه وآلامه وأشواقه، مفضياً إليها بسره ومكنون صدره، منادياً عليها ـ متوسلاً ـ بأعلى صوته أن تعوضه عن أيام الحرمان، وترويه من نبعها الفياض، فهي جنته التي يوقد فيها شموع الأمل، ويقضى في رحابها على كل الأشجان.

وللمدينة وجهها المادي الذى يكشف عن روحها و جوهرها، إذ تحكمت المادة في مصائر البشر و انتشرت بينهم لغة البيع و الشراء، ولم يعد هناك مكان للمبادئ العليا و القيم الإنسانية، فلا يشعر أحد بمعاناة أحد ، فالجار لا يعرف جاره!
لا أحد يقلني إلى برج الصحوة
غطت السماء غيمة ، فكيف لم تقلني نسمة
لا أحد يعرف طعم الشارع المسفلت
غير رجلي المتعبة
يقول اليمام : وحدك من تجهر بحزنك وتعبك
أبكي كجرح غائر... **(15)**
في زحام المدينة تصبح الرؤية هلامية حيث تختلط الحقائق، و يمتد الفراغ النفسي الذى يحاصر الشاعر في كل مكان ، و يتفاقم الإحساس بالوحدة و الغربة " و تلك هي مأساة الإنسان المعاصر ، الإنسان الذى يحيا و حيداً برغم أنه يعانى من شدة الزحام ، فالناس تلاصقت أجساداً و تباعدت أرواحاً ! ويتنامى الإحساس بالغربة و الوحدة مع فقد الأحباب و الأصحاب، فتضيق المدينة على الشاعر بما رحبت، وتبدو رغم زحامها خاوية على عروشها!
في المدينة كن نفسك ؛ فلن يمسح دمعك غيرك، فاطوِ أعماقك على جرحك ، وامض وحدك ،لا تنظر خلفك .. فهناك :
سعار الدم والشهداء من الثورة
وأقدام الثوار تركض من غير عار
الجاني أقوى من المجني عليه
ولا شيء يجذبني
سوى موتي هذه المرة **(16)**

إن حياة المدينة لا تمزق أوصال المبادئ والعلاقات الإنسانية فحسب، بل إنها تحولت إلى غابة قانونها (البقاء للأقوى) ولا عزاء للضعفاء!!
لقد أدرك الشاعر عمق الهوة بين ما يراه من حياة المدينة وما كان يحلم به ويتمناه، الأمر الذى جعله يقف عاجزاً حيال التكيف مع واقعها و قبولها على حالتها تلك، ومن هذه المواقف كلها يتضح لنا كيف أن تجربة الحياة في المدينة قد كشفت للشاعر عن مضمونها الحقيقي ، سواء

بالنسبة للفرد أو للجماعة ، وكيف أن الشاعر قد ترسبت في نفسه خلال هذه التجربة مشاعر الحنق و النقمة على وجهها الحضاري .

3- مفردات الطبيعة :

صلة الشعراء بالطبيعة صلة وثيقة إذ تعد ـ في مختلف مجالاتها ـ مصدراً من مصادر الإلهام، وإن كانت نظرة القدماء إلى الطبيعة ـ غالباً ـ نظرة خارجية تقف عند حدود الأشياء الموصوفة دون محاولة تعميقها وسبر أغوارها على نحو تمتزج فيه أحاسيس الشاعر بمظاهر الطبيعة ، وتخالط روحه روحها ، فيتحدث إليها ـ لا عنها ـ ويعبر من خلالها عن كل ما يزخر به وجدانه من خواطر وأفكار، فلشاعر المعاصر لا يقصد إلى تصويرها ورصد مظاهرها ، وإنما يتجاوز ذلك إلى نوبة من الاستغراق والتأمل يرى فيها نفسه كائنة في كل شيء يحيط به .

ومن ثم، فإن الطبيعة في شعر" عبد الله الكعبي " ليست مجرد صور جامدة أو كائنات محدودة، ولكنها روح نابضة يرى في صفائها روعة الحياة وسر الوجود، ويعبر من خلالها عما تجيش به نفسه من مشاعر وأحاسيس، وما يعتمل في ذهنه من رؤى وأفكار.

*** ويعد عنصر " المـاء" من أبرز مظاهر الطبيعة في شعر" عبد الله الكعبي "، والماء الذى يعنيه الشاعر ليس ذلك السائل الكيماوي، وإنما هو النماء والخصب والحياة المتجددة، وهو أيضاً الطوفان العارم الذى يجتاح القيم الزائفة ، ومن ثم يستمد عنصر الماء أهميته من طبيعته الدينية ثم الأسطورية بوصفه مبدأ الخلق والتكوين .**

يقول " الكعبي " ـ على لسان القارب ـ مخاطباً البحر:

واقف بين الذهول والمجرة

لا حزن يكفيه ولا فرح

كل اللحظات مدهشة

أهو البحر ؟

كغيره نسي العودة

كغيره فقد مجدافه

كغيره تشبث بالوزن والقافية

أعاد البوصلة اتجاهها

مالي والبحر؟

أأحرق لبانة ؟ لأعرف رائحة الخونة

ربما هم من بعثوا إليَّ الريح فاحترت إلى أين أذهب **(17)**

يوحى البحر ـ هنا ـ بعدة دلالات تعمل على تكثيف درجة التوتر الشعرية ، فهو بحر صاخب متسع مرعب لا تحده حدود ، تعكس أمواجه المتلاطمة أبعاد المخاطر المتجددة والأزمات الحياتية المتوالية التي تحيط بالشاعر ، حيث تصبح لهذه الصورة المائية دلالتها المادية والنفسية والرمزية في آن واحد ، إذ تسهم في تأكيد شاعرية الصياغة بتحويلها من المباشرة إلى غير المباشرة ، فالبحر يجمع بين النقيضين ، (لا حزن يكفيه ولا فرح) الأمر الذى يتيح لنا " ضرباً من تكثير الواقع وتنويع منظورات الموضوع ، فإذا الماء ري يبل العروق ، وعطش يورد الإنسان موارد الهلكة! ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج وإذا هو يتجلى رمزاً للحياة والموت " . (18)

" وهذه النظرة إلى عالم البحر تحمل موروثات رومانسية ، كان البحر فيها رفيق كثير من شعرائها ، بل كان وعاءهم الذى يسقطون فيه ذواتهم ، ويعيشون ـ من خلاله ـ عالمهم الباطن " . (19)

وتستمر مناجاة القارب في شجن مكتوم :

ما زلت وحيداً بلا ربان
أشتاق للبحر والفجر
البحر العظيم أين رحلت ؟**(20)**

وإذا كان البحر يوحى بمعاني ودلالات الحياة، فإنه في المقابل يعنى غياب الماء وجفافه فقدان الشعور بالحياة، فإن القارب لا يمشي على اليبس! تبدو هذه الأسطر القليلة حافلة برموز إيحائية و دلالات نفسية ، و استبطان لخلجات الوجدان و ومضات الفكر ، ذلك أن الشاعر مادامت قد أصبحت له رؤية خاصة في إطار تجربته ، ومادام يستعين باللغة الإيحائية و ليس باللغة المعجمية وسيلة للكشف و التعبير ، فإن اللفظة تتجاوز معناها المعجمي إلى دلالة خاصة تتسق ورؤية الشاعر ، فالبعد عن النبع / الأرض / الوطن / الحب والقيم ، يعنى التيه و الغربة و الضياع والوحدة " فالشعور بالوحدة و التشرد والغربة ، وافتقاد الحب ، كل هذا يرمز إليه الشاعر بالبعد عن البحر ، وبهذا تصبح الرغبة في العودة للبحر طلباً للإبحار وتحدي الأمواج العاتية والعودة بالخير، والتحرر من القيد والسكون بالمدلول النفسي للكلمتين " . (21)

تشغل مفردات الفضاء (الشمس، القمر، النجوم، الكواكب، الشهب) حيزاً كبيراً من معجم الطبيعة في شعر" عبد الله الكعبي" باعتبارها مصادر النور / الأمل التي يرتقب الشاعر بزوغها لتبدد الظلام / اليأس الذي يلف الكون من حوله، وفي ضوء هذه الفكرة نعرض لهذه المفردات لرصد تفاعل اللاشعور مع هذه الرموز.

*** تأتى الشمس لتوحي بالدفء و النور و الضياء و الأمل، يغمر العيون وهجها الوديع، تعتلي الأفق يبرئ نورها سقم الروح ، فتبعث الضياء للحياة :**

للشمس لونها المتجدد
في كل بذرة وريشة
للشمس عنوانها الفتان قد عانق الأفق (22)

هنا يتعانق الرمز مع التشخيص في وحدة فنية عميقة تكسب الصورة بعداً رمزياً إيحائياً ، إذ يرسم لنا الشمس في صورة مشرقة بالحياة والإحساس ، تمنح الأشياء من حولها نبضها ، وتبث فيها الروح، وتنشر فيها أشعة الحياة، تبدد ظلام اليأس و تنشر أشعة الحب في آفاق القلب ، هكذا تتحول " الشمس " من كونها رمزاً لغوياً محدوداً إلى رمز شعري ثري الإيحاء ، فيه إشراق ونورانية و كشف عن الزاوية التي ينظر منها الشاعر إلى الأشياء من خلال سياق التجربة .

ويشترك النجم مع الشمس والقمر في دلالات الرموز السماوية التي تدور حول النور والأمل والحب والخير والجمال ، ويعكس غيابه نفس المعانى التي يوحي بها أفولهما ، ويقف الشاعر عند (النيرا) بصفة خاصة ، وهو من ألمع النجوم في السماء ليلاً ، وهو نجم شبة عملاق أزرق ، يأتي في سياق طيف الذكرى الذي يتجلى للروح الحيرى والجسد المضنى ، فالكون سديم ، والشاعر يناغي النجم المضيء يستجديه أن يعيد الإنسان للإنسان ، يغمره بنوره لينشأ خلقاً آخر بوجه صبوح يُقبّل الأخضر ويكبر ، تعلو وجهه ملامح البراءة :

أذكر أني كتبت عن نجمة قصيدة ....

ووهبتك جزءاً يسيراً من كياني
وتتبعت النجمة العلوية ذات التأهب ورجعت فيك
يا نيرتي إنساناً يعشق الإنسان
النيرا تلك النجمة أم تلك الرملة في ذاتها الارتواء
جميلة كالجملة الاسمية ، لا ناصب ولا جازم
تنساب من أصابعي دون تميع
لتعود إلى راحتي دون تمرد
النيرا وجه صبوح يُقبّل الأخضر ويكبر
حورية صغيرة وأبوها أكثر عجزاً من ذي قبل
وأكثر قوة من ذي قبل **(23)**

اعتمد الشاعر على ضمير المتكلم بوصفه أحد وسائل الأداء البلاغي، وجعل منه مرتكزاً حوارياً يصنع تواصلاً بينه وبين المتلقي، كما اتخذه وسيلة للتضافر الأسلوبي الذى يجعل من النص وحدة متماسكة.

نرصد ضمير المتكلم الذى يفترش مساحة النص باعتباره أكثر الدلالات إيحاء بما في نفس الشاعر، حيث تكرر عشر مرات، وهو أحياناً ظاهر في مواجهة الأحداث ، و أخرى يطل من خلف الأبنية اللغوية و الصرفية (كتاء الفاعل مع الفعل الماضي أو الضمير المستتر مع المضارع) ، مرات ثالثة يتباطأ ، وفي أخرى يتسارع .. في أحيان يقف على مطلع الفقرة، في أخرى ينطوي وسطها، ليظل في كل أحواله عاملاً على إطلاق التعبير وتحريره، وممارساً لعبة البوح و الاعتراف.
معنى هذا أن النص يعكس مواجهة داخلية تتنامى أحداثها في جدلية توترية بين الذات و الآخر، ولا شك أن توالي الضمائر بهذا الشكل قد عمل على ترابط الدلالة، و إكسابها حيوية وثراءً بحيث تتفاعل الأدلة عن طريق الوصل الحاصل بينها، والتلاحم الحميم بين أطرافها .

ومما تزدهي به عمان، ويكثر ذكره في شعر " الكعبي " (النخل) رمز العطاء ثمراً ، بين سعفاته يأوي إلى عشه القلب الشريد ، و إلى ظلاله يهرع النازحون ، فيساقط عليهم رطباً جنياً ، فالنخلة سيدة الصحراء ورمز الحياة والعطاء والبقاء ، وهي من أكثر الأشجار وروداً في ديوان الشعر العربي القديم والحديث .يقول الكعبي :
لا ضير من التأمل في النخلة
حينما تتلمسون تجاعيدها...
لم تضع بعد مساحيق التجميل
حتى ترص أوراق السعف أكثر
ولم تخضب بعد عذوقها
فاختلط الداكن بالأخضر
صغاري ؛ أسروا لعماتكم بالبشرى
فالنخلة إما أن تلتهم الحزن

أو تبعث الفرح **(24)**

فالنخلة رمز للشخصية العربية الثابتة على مبادئها، الجميلة بطبيعتها، كما يقول المتنبي

حُسنُ الحَضارَةِ مَجلوبٌ بِتَطرِيَةٍ
وَفي البَداوَةِ حُسنٌ غَيرُ مَجلوبِ

فالنخلة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأمرها كله خير: تلتهم الحزن أو تبعث الفرح، ومن ثمّ يوظف الشاعر لتجسيد رؤيته ـ فنياً ـ مجموعة من الوسائل والأدوات الشعرية، من ذلك استغلال الإمكانات اللغوية من تنوع بين الخبر والإنشاء، واستخدام للصور الشعرية وليدة الخيال الخلاق (لم تضع بعد مساحيق التجميل، ولم تخضب بعد عذوقها).

لقد غدت "النخلة" عند الشاعر شجرة "رومانسية" ـ إن صح التعبير ـ يجد في ظلها من الإيحاءات الثرية ما يلاءم تجربته النفسية / الشعرية، فهي رمز للشموخ والعطاء وغير ذلك من الدلالات التي ترتبط بها في وجدان الشاعر.
وهكذا نجد أن استلهام الشاعر لمفردات الطبيعة كان بوصفها وحدة متكاملة، رأى فيها مُثلاً وخصوصيات استطاع الباحث من خلالها الوقوف على أبعاد رؤيته الشعرية، وتتبع خيوطها الدلالية و النفسية التي تكشف عن طبيعة تجربته، وعلاقته بالواقع من حوله.

ـ مفردات اللون :

إن علاقة الشاعر بالألوان كرموز فنية / إيحائية لا تقوم على النقل المباشر أو محاكاة أشكالها كما هي في الطبيعة، و إنما تمثل الألوان ـ مع غيرها من عناصر البنية الشعرية ـ أدوات من خلالها يشكل أبعاد تجربته، إذ يعيد النظر في علاقتها ببعضها من جهة، و علاقته بها في إطار التعبير عن رؤيته و تجسيد دلالتها من جهة أخرى، وذلك بكشف إيحاءاتها لا برصد أشكالها، ومن ثم يكون استخدامه لها بقدر تحسبه عبقريته، ومن زوايا يختارها لتكون في النهاية لبنة فنية في تشكيل رؤية شعورية متميزة.

وتعامل "عبد الله الكعبي" مع الألوان بكل دلالاتها الإيحائية وإمكاناتها التعبيرية قد ساعد على ثراء جوانب الشعرية في تجربته من ناحية، فضلاً عن توسيع دائرة الفضاء النصي من ناحية أخرى، وذلك باستعمال دوال متعددة المراجع نتيجة للرموز والإشارات الصادرة منها.
هذا، وتشكل مفردات اللون جزءاً كبيراً من معجم "الكعبي" الشعري، والنظر في ديوانه يكشف لنا عن تراوح نسبة شيوع الألوان في شعر" عبد الله الكعبي"، وإن كانت الغلبة التعبيرية للون الأبيض، إذ يعد أكثر الألوان تردداً في شعره، يليه الأخضر ثم الأحمر...، إلا أن دلالات اللون تتغير تبعاً لمقتضيات التجربة ومدارات السياق وإشعاعات الأثر النفسي.

أما اللون " الأبيض " فإنه يستدعى للذهن معاني الوضوح والطهر والنقاء والسلام والخير والعطاء..، وما إلى ذلك من الدلالات والقيم الإنسانية السامية.
" وأهمية هذا اللون تتجلى من ارتباطه ـ في الغالب ـ بالأمل والتفاؤل والعطاء المتجدد والجمال والبهجة، أي إنه جاء كنوع من التوازن الدلالي مع اللون الأسود بارتباطاته الكئيبة ". (25)

سيدتي وجه الحقيقة أبيض
وجه الحقيقة مارد
يتخطف الأحياء
من قُبُلٍ .. ووجهك
طل أحلامي
أحبك ... وحدها بلدي **(26)**

لكن محاولة التوازن اللوني هنا تتلاشى، إذ تتحول الغلبة اللونية للأبيض تعبيرياً ودلالياً، فنور الحقيقة يسطع في كل مكان؛ ليبدد ظلام الباطل، ويزيل شبح الضلال، فضلاً عن أن البياض مارد ينشر سطوته في كل مكان حتى الحلم!

أما عن دلالات اللون الأبيض في إطار التلازم العرفي وارتباطه بأصل المواضعة ـ ورغم محدوديتها ـ فقد جاءت مرتبطة بالواقع المادي ، لتعيد تشكيله و تخرجه في صورة أقرب إلى عالم المعنويات ، ومن ذلك قوله :

أما الحاضر والمستقبل
فلا بد أن يكون كما نحلم ويحملنا
إنهما باختصار أخضران كالنجاح
وأبيضان ككلمة تُلقى بين متحابين لعلهما
يوماً يلتقيان **(27)**

وهكذا يساعد اللون الأبيض في كشف إيحاءات الألفاظ من خلال ارتباطها بسياق التجربة التي وقعت تحت طائلة هذا اللون بكل طاقاته التعبيرية، فالكلمة البيضاء كلمة طيبة ، كلمة صدق ، ورمز ود ، ووفاء بعهد.

وترجع أهمية اللون الأبيض إلى "مدلوله الأسطوري في إشارته على الطهر والنقاء، وتوظيفه على نحو إسقاطي يشكل المعنى تشكيلاً يجمع بين الإدراك الداخلي والوعي الخارجي ". (28)

بفارق ضئيل يأتي " اللون الأخضر" في المرتبة الثانية في قائمة الألوان عند "عبد الله الكعبي"، رامزاً إلى معاني الأمل والسعادة والنماء والتجدد والتفاؤل.

وإن كان اللون في ذاته لا يضمن للوحة النجاح الفني، والشاعر ـ كالرسام ـ يستخدم هذه الأدوات، لكنها لا تؤدى وظيفتها على الوجه الصحيح إلا بتوجيه من الشاعر، وهذا التوجيه مصدره الفكرة أولاً وآخراً، هذه الفكرة التي انصهرت في بوتقة الشعور وامتزجت برواسب التجربة في أعماق الشاعر امتزاجاً خاصاً ينبئ عنه التأثير الإيحائي لدلالات الألفاظ وأدوات الرؤية.

يأتي اللون الأخضر متعلقاً بالواقع المادي الخارجي، ليشيع في الدلالة أجواءً رحبة من الجمال والبهجة، حيث الأفق أقمار خضر، وشموس تشرق بالحب:

وحدي أنتظر اخضرار الوقت
واخضرار الحبِّ
واخضرار جرس التنبيه
تمرين يا حبيبتي في بالي
فأتذكر عينيك الهادئتين
وأعشق الانتظار **(29)**

في لحظة من لحظات التواصل الحميم بين كل الكائنات ، يغدق الشاعر حبه على كل عناصر الوجود ، ليصنع فردوساً إنسانياً ظليلاً وسط جهامة الواقع ، في صورة فنية رائعة تقوم على الصلات النفسية / الدلالية بين هذه العناصر التي امتزجت في تركيب بديع لصورة موحية بشتى مظاهر السعادة والبهجة ، ذلك أننا مع الطبيعة كلها : بأفقها الممتد ، وأقمارها الخضر ، وأكمام الورد ، وشموس الحب ، وأشجار الأمل ، وأنسام النهر ، وأحضان الليل ..، وليس المهم جمع هذه الصور ، إنما الأهم هو انسياب الشاعر معها واختلاط مشاعره بمشاهدها ، وللون " الأخضر

" ـ هنا ـ دور أساسي في الكشف عن أبعاد تجربة الشاعر ورؤيته ، إذ إنه ليس مجرد لون تراه العين ، بل إنه يرتبط بأحاسيس وذكريات سارة.

أما عن ارتباط " الخضرة " بالمعنويات، فيظهر في بنية الصورة الشعرية عن طريق تبادل المدركات الذي هو تبادل الصفات بين الماديات والمعنويات، " فمن خلال التجسيم تأخذ المعنويات صفات محسوسة مجسمة، ومن خلال التشخيص تدب الحياة والصفات الإنسانية في المحسوسات والمعنويات، ومن خلال التجريد تكتسب الماديات صفات معنوية، وتزول الحواجز بين المعنوي والمادي ". (30)

يقول" الكعبي" في رثاء المخرج السوري " حاتم علي ":

في المعركة أتعمد أن أريكم قوة الجندي

وهو يخلع رأساً جبلياً

وأعمل تسليطاً ضوئياً على بقعة خضراء ملآى بالدم ! **(31)**

لقد تجاوز الشاعر الصفة اللونية للدماء الحمراء ، فصارت دماء خضراء ذلك أنها أريقت في سبيل حرية التعبير ، فغدت مغايرة للواقع المادي ، خاضعة للواقع النفسي والشعوري ، فالشاعر ـ في هذه الحالة ـ يصنع من الألوان نظاماً رمزياً خاصاً يتشابه أو يتعارض مع رمزية الألوان في موروثه ، معنى هذا أن الألوان في التجارب الشعرية لا تتمتع بقيم ودلالات ثابتة على نحو مطلق ، إذ يظل بإمكان الشاعر تغيير مدلولات الألوان وفقاً لتجارب الخاصة .

ويأتي" اللون الأحمر" في المرتبة الثالثة في قائمة الألوان عند الشاعر" عبد الله الكعبي "، ليسهم بدوره في إنتاج الدلالة " بماله من طبيعة انتشارية، حيث يغطى مساحة ممتدة من الصياغة ويصبغها بإسقاطات عرفية أحياناً، وأيدلوجية أحياناً أخرى.

وجع كوردة حمراء هو الطعن في الشوق

وردة كالوردة هو القلب

عُد بي إلى البداية يا غريب (32)

توسل (الكعبي) بالأسلوب الخبري يتماشى مع طبيعة النص الحجاجي، والتنويع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي في بنية القصيدة، يدفع عنها الرتابة ويضفي عليها التدفق والحيوية، فالوردة الحمراء بأشواقها الملتهبة وعبيرها الفواح تذكي رغبات النفس ولواعج الفؤاد.

" ولا شك أن الشاعر على وعي بجملة الصلات القائمة والمثارة بواسطة اللون مع مراعاة دلالاته البيئية وصلته بالنص، وآثره في المتلقي، وبذلك يتجاوز الدلالة المباشرة والسطحية للون".(33)

وعلى هذا النحو " يتجلى عالم اللون ـ عند الشاعر ـ تجلياً يثير الدهشة لخصوبته وغناه، وقدرته على احتواء صور الإدراك بكافة مستوياتها، سواء ما يتصل منها بالجوانب النفسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، وقدرته على تشكيل الواقع بمقولاته التي يستمدها من المواضعة أحياناً، ومن الهوامش الدلالية الإضافية أحياناً أخرى.

5- أسماء الأعلام : -

جاء استدعاء الشخصيات التراثية والرموز التاريخية المختلفة في شعر الكعبي ليجسد من خلالها رؤيته الشعرية في إطار فني ثري بالإيحاءات والإيماءات الرامزة التي تدفع المتلقي للمشاركة في إنتاج الدلالة، وتستثير ذهنه لاستيعاب أبعاد التجربة نفسياً ودلالياً، ذلك أن الوقوف على المثل التي يتغياها الشاعر في استلهاماته للأعلام أمر من الأهمية بمكان، إذ يفيد كثيراً في فك شفرات النص وفهم رسالته.

وقد تعددت روافد استلهام " عبد الله الكعبي " لأسماء الأعلام ، إذا استقى بعضها من الموروث الديني ، و بعضها من الموروث التاريخي ، و بعضها الآخر من الموروث الأدبي ، و كذلك جاء بعضها من الموروث الشعبي ، مما يعنى أن الشاعر " يستعين بكل ما يسهم في بناء عالمه الشعري من معارف وثقافات ، خالقاً من نصه بنية مركبة عميقة ، تحفل بالعديد من الإشارات / الإحالات التي لا تنتمي فقط إلى التجربة الخاصة ، و إنما تنفتح على تجارب الآخرين ، وتتواصل مع معارف شتى كالدين و التاريخ و الأدب... ، وبذلك يتشكل خطاب شعري على درجة عالية من الكثافة والعمق فكرياً و جمالياً ، فتتعدد روافده ، ويمتلك طرقاً تعبيرية جديدة و متنوعة " . (34)

من الموروث الديني يستدعى الشاعر شخصية الرسول" محمد " صلى الله عليه وسلم ؛ ليوحي بالأمل في تخليص الأمة من آلامها و ضلالها ، و إنقاذ المستضعفين من الذل والهوان ، إذ إنه حامل لواء الحق في زمن الباطل ، ومشعل نور الهدى في غياهب الضلال :

محمد يا كتاب من عدلوا روحي فداء لنطقك الألف

أحبك الآن لست منتشياً إلا بقرب يدنو إلى القطف

حصاد آمال أنت يا ولهي كنخلة تهوى اخضر السعف

محمد قد أعييت أسئلتي فلتعصفي مفعلات منتصفي

ما قام نور ولا جرت عبر حسرى على حالنا فوا أسفي(35)

إن الشاعر يستعير من صفات الرسول عليه السلام : الهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن ثم كان اعتماد الشاعر على أسلوب السرد محتفظاً للشخصية بكل ملامحها التراثية ليسقط عليها أبعاد رؤيته المعاصرة ، ليصل عن طريق المقابلة إلى تعميق الشعور لدى المتلقي بالمفارقة بين ما كان وما هو كائن كوسيلة للإيحاء الشعوري ؛ يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده ، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها .

لقد استغل الشاعر إيحاءات الشخصية لتأكيد ونماء الدلالة من ناحية، وتوثيقها من ناحية أخرى .

أما الموروث الأدبي، فأشهر أعلامه في الشعر العربي المعاصر عامة هو" أبو الطيب المتنبي" شاعر العربية الأكبر، الذي ملأ الدنيا و شغل الناس، و ظل خالد الذكر إلى يومنا هذا، ومرجع استلهام شاعرنا لشخصية المتنبي يتمثل فيما تحمله من ملامح و دلالات تثرى تجربته.

يقول الكعبي :

في هذه الأثناء أسأل نفسي :

ما هي العظمة؟

أي : أن تصنع عالم الآخرين تحت عالمك...

هكذا همس إليّ المتنبي (36)

إن الشاعر يستدعى شخصية المتنبي ليطرح من خلالها مأساة الإنسان المعاصر الخائف من كل شيء ، الساكت عن الحق ،الراضي بالقليل ، إن الاستفهام ـ هنا ـ يربط الدلالة بمذخور الشخصية

في نفس المتلقي ، وما توحى به من رموز الإباء و الكبرياء وما تجسده من معاني العظمة ، أن تكون أنت أولاً ، ومن بعدك العالم ! .
وعلى هذا النحو يتم استدعاء الشخوص / الأعلام بأسمائها محملة بكل ما تحمله من أبعاد تكوينية داخلياً / خارجياً ، لتمثل صوتاً إضافياً في الخطاب الشعري .

ومن أعلام التراث الأدبي الذين يمثلون قضايا اجتماعية ـ وإن كان لها في نفس الوقت بعض الأبعاد السياسية ـ يأتي (عنترة العبسي) الشاعر والفارس العبد، الذي كانت حريته هي قضيته الأولى وهمه الأساسي، الذي فتن شعراؤنا به فحاولوا أن يعبروا من خلاله عن بعض القضايا الاجتماعية ذات البعد السياسي .
ومن النبع ذاته يغترف شاعرنا، فيقول (على لسان عنترة) :

يا عبل كثرت سيوف التيه
ولاح برق ثغرك المبتسم
يا عبل وددت تقبيل ثغرك وكرهت لعنة السيوف
يا عبل في جبهة جند الأعداء رأيتك
فكيف لي التقاطها كي أنعم بالسلام ؟ **(37)**

لم يكتف (الكعبي) باستلهام شخصية عنترة فحسب ، بل عمد إلى تضمين أبياته المشهورة:

وَلَقَد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ مِنّي وبِيضُ الهِندِ تَقطُرُ مِن دَمي

فوَدَدتُ تَقبيلَ السُيوفِ لأَنَّها لَمَعَت كَبـــارِقِ ثَغـــــرِكِ المُتَبَسِّم

ويبدو واضحاً العدول بالخطاب الشعري عن دلالته الأصلية إلى دلالة عكسية، فإذا كان المعنى الأصلي يدور في سياق الشوق والحب الذي يدفعه للتضحية بحياته من أجل محبوبته، إلا أن المعنى عند الكعبي جاء عكس ذلك ليجسد إحباطات الواقع وغلبة دواعي اليأس في هذا العصر، عصر التيه الذي تعيشه البشرية، وما عادت السيوف تغني عن أصحابها شيئاً!
لقد اتخذت الأبيات السابقة في نفس الشاعر مساراً نفسياً خاصاً، وتحددت أمامه ببعد شعوري يرتبط بأزمته الراهنة.
إذ مقصود الشاعر أن يقول شيئاً آخر هو بلا شك أبعد أثراً وأدخل في الرمزية وأقرب إلى كشف الواقع منه إلى رصد الماضي من خلال بنية شعرية خاصة تحمل في طياتها أفكاره ورؤاه.
لقد تجسد البعد الباكي النادب في حياة عنترة خلال تجربة (الكعبي) في مظهرين: بكاء ذاته (حبه لعبلة) ، وبكاء وطنه (واقعه المعاصر) ، و إن كان البعدان يمتزجان في كثير من الأحيان حتى ليغدو بكاء أحدهما بكاءً للآخر في ذات الوقت ، فهو حين يبكي حبه ذاته إنما يبكي ضياع وطنه .

هذا فضلاً عما تمنحه أسماء الأعلام / الرموز للتجربة من شمول وكلية تتخطى إطار الزمان والمكان إلى آفاق رحبة يمتزج فيها الماضي بالحاضر من خلال التفاعل الخلاق بين ملامح الشخصية التراثية وطاقاتها الإيحائية وبين معطيات الواقع إذ تتحقق المفارقة بين الطرفين.

ثانياً : التعابير :-
إن الدلالة النصية هي بنية كبرى تتكون لبناتها من جمل وتعابير دلالية تنتظم في سياق التجربة الشعرية وتنصهر في بوتقتها، والتعبير الذي نقصده هنا هو التعبير الذي يتركب من كلمتين أو أكثر مكونتين وحدة معنوية يبثها الشاعر داخل بنية النص الشعري.
وتأتى دراسة التعابير في شعر" عبد الله الكعبي" من خلال محورين هما :

1- التعابير الدينية :-

يعد التراث الديني - في شتى فروعه - نبعاً فياضاً يستقى منه الشعراء على اختلاف مشاربهم ، وقد تنوع استلهام التعابير الدينية في شعر(الكعبي) ما بين قرآنية ونبوية ، لكن الظاهرة الاستدعائية الأولى من التراث الديني ، هي " استدعاء الخطاب القرآني الذى تنوع ما بين الاتكاء على البعد الدلالي وحده ، أو البعد الصياغي الخالص ، أو البعد الإيقاعي الخالص ، المهم في ذلك أن الخطاب الشعري كان يمتص الخطاب القرآني في إطار من القداسة التي تكسب الخطاب الشعري نوعاً من التعالي والسمو ، وتمنحه قدرات إضافية ليمارس فاعليته في التعامل مع الواقع " . (38)

هذا، وقد جاء توظيف التعابير الدينية القرآنية على أشكال متعددة، منها اقتباس التعابير القرآنية وغرسها في البناء الشعري باعتبارها أحد لبناته، وإن كان ذلك لا يحول دون المتلقي ورد الصياغة إلى مصدرها الأصلي عن طريق تداعي المعاني، وإن ظهرت هذه التعابير في أردية جديدة، فإن طاقاتها الإيحائية تعمل في أعماق اللا شعور حتى تصل إلى استثارة مخزونها النفسي / الدلالي في وعي المتلقي، ومن ذلك قول " الكعبي ":

إلى أي الجهات سترحل؟ إلى جهة القلب

أين ما تولوا فثم وجه الله

الكل ينتظر وينتظر **...(39)**

حيث يتجلى - للقراءة الأولى - استلهام التعابير القرآنية في قوله " أين ما تولوا فثم وجه الله " المأخوذ من قول الحق سبحانه (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله). البقرة /115.
لقد اتخذت الآية الكريمة في نفس الشاعر مساراً نفسياً خاصاً، و تحددت أمامه ببعد شعوري يرتبط بأزمته الراهنة، فهناك على باب المطار لا يدري أين يذهب ؟ لقد جاء الاستفهام عن ليعكس ثورة العقل الباحث عن الحقيقة الكامنة خلف حركة الحياة في هذا الوجود، باعتباره الأسلوب الأمثل في فرض نفسه لسبر أغوار النفس البشرية، وعلى عكس المألوف هناك على أبواب المطار تجد أن المغادرين هم العائدون والعائدين هم المغادرون !
وهكذا جاء استخدام الشاعر للنص القرآني بهدف إبراز المفارقة التصويرية التي تكشف ملامحها أبعاد رؤيته الشعرية بما تطرحه إشكالية النسق على هذا النحو كفعالية إدماج وتوظيف .

تبقى ظاهرة لافتة للنظر تسترعى الانتباه في استلهام " الكعبي " للتعابير القرآنية ذلك أنها تكاد تتجاوز إطار التناص إلى فلك التنصيص، الأمر الذى يقتضى تخليص النص الغائب من بنيته الأصلية ليصبح جزءاً أساسياً في بنية النص الشعري ، ويبدو أن الشاعر يعي ذلك جيداً، لذا جاء اقتباسه للنص الكامل محاطاً ببعض الإضافات أو التغييرات التي تخرج النص عن إطاره القرآني، ومن ثم يصبح صالحاً لتوظيفه في الصياغة ليعمل عمله التناصي بطريق غير مباشر.
ومن الأمثلة التي تتضح فيها هذه الظاهرة التناصية / التنصيصية قول الشاعر :

سآوي إلى جبل يعصم الكلمات

إلى أين فر القصيد

وهذا العراء مليء بكل المياه ... **(40)**

حيث يتداخل النص مع قوله تعالى " (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) هود / 43 ، مع حذف (من الماء) ، و إحلال " الكلمات" محلها، ورغم ذلك ظل النص الشعري قريباً من النص القرآني شكلاً ومضموناً ، فكلاهما يعبر عن وقوف الإنسان عاجزاً أمام الأحداث / الأحزان التي لا

قبل له باحتمالها أو مقاومتها ، باحثاً عن ملجأ ومأوى يحتمي به ويحمي به كلماته ، ولكن هيهات فالماء في كل مكان ، ولا عاصم اليوم من تكميم الأفواه إلا من رحم ، وحيل بين الشاعر وكلماته فكان من الصم البكم الذين لا ينطقون!
إن الاستفهام هنا لا يأتي للاستخبار، وإنما يستخدمه الشاعر لإثراء تجربته وتجديد حيويتها وإكسابها دلالات نفسية تجعل قضاياه أكثر إعمالاً في نفس المتلقي.

أما السنة النبوية فيأتي توظيف الشاعر لها في صورة استدعاء بعض الأحداث من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، خاصة كتلك التي تمثل دوراً مهماً في إبراز الرؤية الشعرية من خلال تكثيفها و تركيزها و إعطائها دلالة أكثر ثراءً و عمقاً ، فضلاً عما تقوم به من كشف الكثير من الأبعاد و طرح العديد من الإيحاءات .

ففي قصيدته " الملجأ " يوظف (الكعبي) بعض أحداث هذه السيرة العطرة لتسرى في بنية القصيدة من خلال تشكيل فني يتسق مع بعد قصيدته الدلالي ، فالشاعر يجد في هجرة الرسول " صلى الله علية وسلم" من مكة إلى المدينة تجاوباً مع موقفه المعاصر ، وإن كان استخدامه لبعض الأحداث بطريقة عكسية ، فذلك لإبراز المفارقة بين خروجه وخروج الرسول عليه السلام ، يقول :

يغيب بنا الظلُّ أيضاً

يقول الحمام : لو اطلعوا تحت أقدامهم

يسلبوا حلمنا

لا تخف ....**(41)**

في المقطع السابق يستدعي الشاعر حدثاً من أحداث الهجرة النبوية ؛ حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق في الغار ، ودار بينهما هذا الحوار ، يقول أبو بكر : كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله تعالى ثالثهما ".
لقد لجأ الشاعر إلى توظيف قصة الهجرة لتصوير الواقع من خلال رصد ملامحها المعروفة وإبرازها في سياق الواقع المعاصر، وإن ظهرت تتابعات أحداث خروج الشاعر على سطح القصيدة، فإن خطوط هجرة الرسول عليه السلام تندفع من الأعماق لتتفاعل مع عناصر هجرة الشاعر، ومن خلال التوافقات والمفارقات بين الهجرتين تثرى القصيدة وتعمق إذ أصبح للقصيدة مستويان: مستوى مباشر هو التجربة الشخصية، ومستوى آخر هو هذه التجربة النبوية بعد أن تحولت إلى تجربة موضوعية عامة هي سعي الإنسان إلى الحرية.
ب - التعابير الشعبية: -
تعد اللغة صورة صوتية وفكرية للمجتمع، ومن ثم فإن اللغة تحمل في طيات ألفاظها وعباراتها ملامح حياة المجتمع الذي يتكلمها، وآثار البيئة التي ولدت فيها، لهذا كانت اللغة تراثاً قومياً لأهلها، وعلى هذا الأساس كان لجوء الشعراء المعاصرين إلى استدعاء التراث الشعبي وتوظيف رموزه ودلالاته الثرية الإيحاء؛ للتعبير عن ملامح الرؤية وإبراز أبعاد التجربة في لغة بسيطة يفهمها العامة ويستمتع بها الخاصة.

هذا وقد تعددت طرائق استدعاء التراث الشعبي في شعر" عبد الله الكعبي" ما بين استيحاء الأمثال الشعبية وتضمين العادات والتقاليد إلى استخدام مفردات وتعابير لغة الحياة اليومية .

يأتي استلهام الشاعر للأمثال الشعبية والتعبيرات المثلية التي تعتمد في بنيتها الدلالية على ما يتضمنه المثل من معانٍ، وقد تنبني هذه التعبيرات على جزء من المثل أو إيحاء إلى فحواه ، لذا فهذه التعابير ليست إلا إبرازاً للمثل في صورة تعبيرية دلالية يراد لازم معناها .
يقول "الكعبي " :

فلنذهب لمواجهة عدونا
ذاك العدو الذي صنعناه من وحي الكلام
الغريق يتعلق بقشة
الغني بورقة
الصوفي بحبل من الله **(42)**

يبدو واضحاً في السطر الثالث من هذه المقطوعة استدعاء الشاعر للمثل الشعبي القائل " الغريق يتعلق بقشة"، والذى يضرب -عادة - لترغيب الناس في التمسك بالأمل مهما كان ضعيفاً، وعدم الاستسلام للواقع، وإن كان المثل من زاوية أخرى يوحي باليأس، فالقشة لا تنقذ غريقاً، فقط تمنحه أملاً وهمياً ما يلبث أن يتلاشى مع أول موجة تواجهه!
لقد اتخذ الشاعر من هذا المثل دعامة أساسية لتأكيد دلالة النص، وبلورة هذه الصياغة في رؤية شعرية عميقة عبر حديثه عن لبنان وما تشهده من حروب وصراعات من خلال المزج بين الماضي والحاضر مزجاً يثيراً المتلقي ويدفعه إلى المقارنة بين الوقائع المتشابهة في أزمنة مختلفة.

وفي إطار استدعاء التعابير الشعبية يأتي توظيف الألفاظ العامية المتداولة في لغة الحياة اليومية، لما لها من قدرة على التغلغل في نفس المتلقي بعمق دلالتها وسهولة استخدامها، ومن ثم كان اتجاه الشاعر إلى اللغة الشعبية يستوحى من تعبيراتها ما يعينه على صدق التصوير ودقة الأداء.
إن الشاعر يلتقط فتات الواقع اليومي لتكوين بنية فنية دلالية متميزة، تمتزج في بوتقتها تعبيرات مألوفة وبسيطة، لكنها في ترابطها تشكل لوحة فنية ثرية الإيحاء، يقول " عبد الله الكعبي ":

فرشاة الأسنان المسننة
تلامس آخر حبة قهوة عالقة
الجريدة الالكترونية المكتوبة في جوالي الحديث
نائمة على سرير خزفي
والوردة الحمراء من الجوري الأفغاني أسقيها جرعة شوق زائدة ...
والصبح تنفس أيضاً
ولكن بصوت عبد الباسط
المدرسة تكبر في مرايا الباص
وأنا أحزم كتبي المدرسية **(43)**

الشاعر يقدم صورة لحياة بسيطة ، ينطلق صاحبها في الصباح يلهث وراء لقمة العيش ، في هذه القصيدة تتردد كلمات مثل : فرشاة الأسنان ، قهوة ،جريدة الكترونية ، جوال ، الجوري ،عبد الباسط (القارئ المصري المشهور) حيث تفتح الإذاعة العمانية يومها بتلاوة قرآنية لصاحب الصوت العذب ... ، فهذه كلمات جديدة علي المتلقي لم يعهدها من قبل في الشعر، وهو ما يسمي " بالجسارة اللغوية " التي أخذها الشاعر عن توماس إليوت ، فهذه الأسماء مأخوذة من أفواه الناس

، وهي تتميز بالبساطة و الوضوح وقد استخدمها الشاعر ليرسم لنا الصورة بكل تفاصيلها، و ليعبر لنا بدقة عن الروتين اليومي الذي يعيشه الإنسان المعاصر .
إن واقعية شاعرنا جعلته يتجه إلى هذا التراث ينقب عن كنوزه الدفينة ليحيلها شعراً سائغاً، إيماناً منه بأنها قد تكون الأقدر على كشف أعماق الإنسان.

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد ...فإن دراسة المعجم الشعري عند" عبد الله الكعبي " تكشف عن عدة أمور أهمها: -
- أن مفردات الزمان والمكان والطبيعة والألوان إضافة إلى أسماء الأعلام تعد وحدات مركزية تتردد على مستوى معجم الشاعر أكثر من غيرها، ومن ثم تمتلك هذه المفردات طاقة دلالية في توجيه المعنى الإيحائي للتجربة، وتمثل بذلك على مستوى النص - وإنتاج الشاعر عامة - الكلمة المفتاح التي تؤدى دوراً مهماً في الكشف عن رؤية الشاعر لواقعه، والوقوف على أبعاد تجربته.

- تأتى التعابير في شعر (عبد الله الكعبي) - دينية، شعبية - لتخلق في النص الشعري لغة داخل اللغة، إذ يلتحم فيها اللفظ والمعنى وينصهر الشكل والمضمون، كما أنها تمثل ظاهرة أسلوبية تكشف عن روافد الشاعر الثقافية.
التوصيات : 1- إعادة النظر في نتاج الشعراء الشباب فمنه ما يستحق الدراسة والنقد.
2- استخدام المنهج الأسلوبي في الدرس النقدي لشموليته .
3- تناول أعمال (عبد الله الكعبي) كاملة بالدرس والنقد .

هوامش البحث

1- رجاء عيد: دراسات في لغة الشعر " دراسة نقدية "/ منشأة المعارف / إسكندرية - 1985 م / 10
2- عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر/مكتبة الشباب / القاهرة – 1978 م / 397
3- عبد الغفار مكاوي: ثورة الشعر الحديث /الهيئة العامة للكتاب /القاهرة / 1974 م / ص 207
4- مصطفي السعدني: المدخل اللغوي في نقد الشعر/ منشأة المعارف / إسكندرية /1987م / 156
5- اميل استايجر : الزمن والخيال الشعري (ضمن كتاب حاضر النقد الأدبي) / الطبعة الأولى / ترجمة : محمود الربيعى / دار المعارف / القاهرة /1975م / ص137
6- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) / الطبعة الخامسة / المكتبة الأكاديمية / القاهرة -1994 م / 281
7- عبد الله الكعبي :القارب الذي نسي البحر/الطبعة الأولى/ دار الرافدين/ مسقط / 2023م/ ص 26
8- السابق/ 29 9- السابق / 29 10- السابق/ 26
11- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر / 286
12- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر/الطبعة الأولى/دار رويشن/ الإمارات العربية المتحدة/2021م / ص 78- 80
13 محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث/الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة/ 147
14- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر / 80
15- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 119 و120 16- السابق / 100
17- السابق / 103
18- محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية /252
19- شكري الطوانسي: مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبى سنة " دراسة في بلاغة النص " الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1998 م /544
20- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 104

21- مصطفي السعدني: التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل- منشأة المعارف – إسكندرية – 1985 م / 72
22- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 115
23- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر/ 70 24- السابق/ 57
25- محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية / 130
26- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر/ 5 27- السابق / 77
28- محمد عبد المطلب: مناورات الشعرية – الطبعة الأولى – دار الشروق – القاهرة - 1996 م 240، 241
29 - عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 15
30- محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية / 140
31- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 41 32 - السابق/ 74
33- شكري الطوانسي: مستويات البناء الشعري / 603
34- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر / 172
35- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر/ 100
36- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 120 37- السابق/ 63
38- محمد عبد المطلب: مناورات الشعرية / 181
39- عبد الله الكعبي: النيرا ونجوم أخر/ 60 40- السابق / 27 41- السابق / 28
42- عبد الله الكعبي: القارب الذي نسي البحر/ 57 43- السابق/ 118